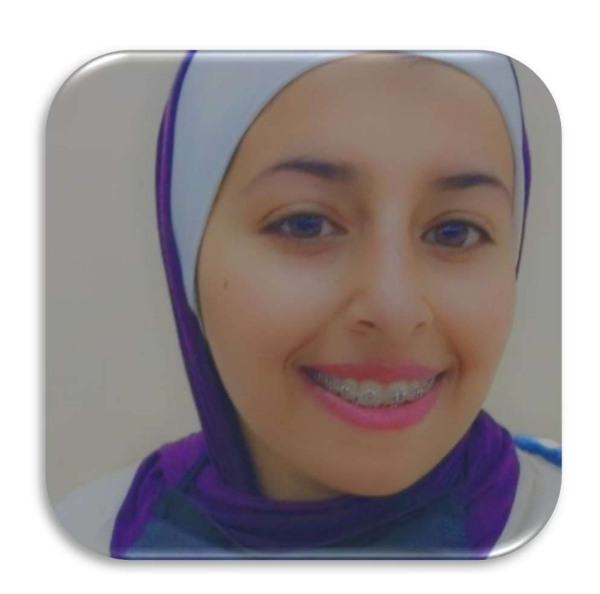




أُنسٌ تربويٌّ



م. رانيا إسلام الحرايزة

الأُنس التربويّ هو الوعاء الذي يحتوي العملية التربوية، والتنبؤ بالذكريات التي قد يتيحها المربي للإنسان الذي يتلقى منه هذه العملية، فيتشكل هدف نبيل تجاه عمليتيّ التعلم، والتعليم.

جمعية التفكير الثقافي للموهبة والإبداع

8/ 5/ 2025

أُنسٌ تربويٌّ

مُقدمة

إن التربية أساس مهم في بناء حياة أجيال بأكملها، وتُعد ضرورة بديهية؛ لتعزيز ترابط الأسرة؛ لذلك تكمن أهميتها في بناء التفكير السوي الخاص بالإنسان، فعادة ما يتم تسليط الضوء عليها من منظور متعدد الأوجه، ومختلف الجوانب، ويُمكن مناقشة مرحلة ما قبل التربية؛ من أجل الوصول إلى فكرة شاملة نحو التطور السلوكي، وخلق الفرصة؛ لصنع ذكريات رائعة ترافق العملية التربوية، وتؤنس الروح؛ ويُشير أساس التربية إلى ما بعد استقبال الفرد لمحتوى التربية المباشر، وقبل تطبيقه على الآخر.

وغالبًا ما يستقبل الفرد المحتوى التربوي دون الشك فيه، وإن حصل الشك عن طريق نقد محتوى التربية نفسه، يبقى شكًا دون وجود تصرفات فاعلة تسهم برفع جودة استقباله، فلا يحدث تعديل، أو تغيير، ويكون غير قابل للتطوير، فيتم أخذ نفس المحتوى التربوي، ونقله، وبهذا يتم العبور إلى مرحلة تطبيق التربية على الآخر دون معالجته، وتطبيقه على الذات.

والتربية الذاتية هي مرحلة تطبيق التربية على الذات، وتُعنى بتشكيل هيئة تربوية ذات خصائص فاعلة، ويقصد بالهيئة هي مفهوم شكلي عام عن بيئة فكرية غنية ومثمرة داخل الإنسان قادرة على احتواء العملية التربوية بطبيعتها الخالصة؛ لتطبيقها باتجاهين: تجاه الذات، واتجاه الآخر، بحيث تكون الأولوية للذات.

الإطار النظري

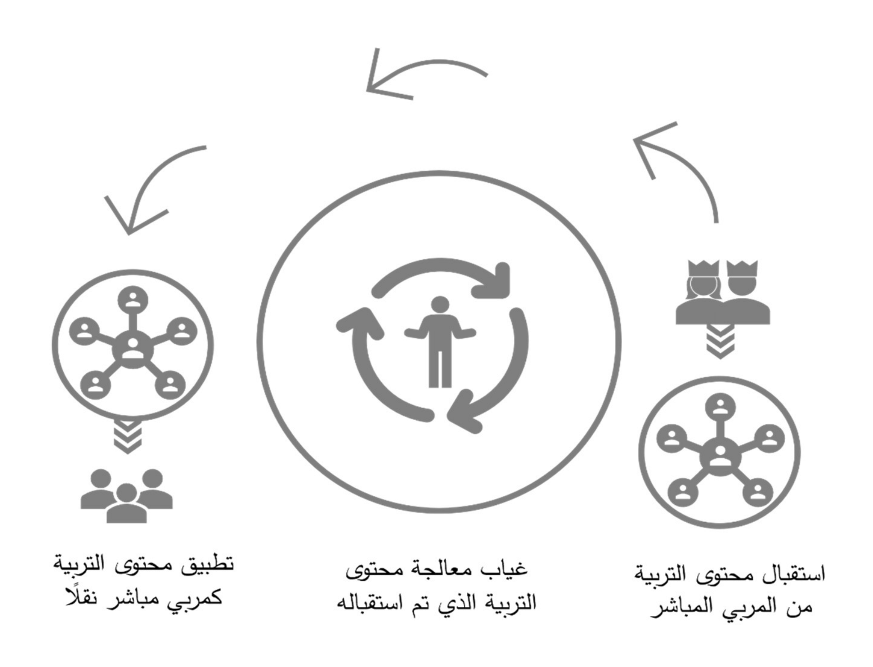
التربية الذاتية:

يرى بعض المهتمين أن التربية الذاتية هي: الجهود المستمرة التي يبذلها المتعلم؛ ليغير من حالته المعرفية والمهارية، وينمي قدراته بما يحقق له التجديد والارتقاء الذاتي، ويكتسب خبرات لم يكتسبها بشكل منظم أو عن طريق وسائل تربوية، وتعليمية مقصودة أو غير مقصودة، مستفيدًا من التقدم التكنولوجي المتاح. (حسان، مجاهد، و عسكر، 2017)

وتسهم البيئة العقلية بتفعيل إمكانات التربية المطلوبة إلى حدودها المبتكرة دون تقييدها بمحددات تربوية سابقة تم تطبيقها عليه، والتي قد تكون نتائجها غير مثمرة فلا يحدث تطور

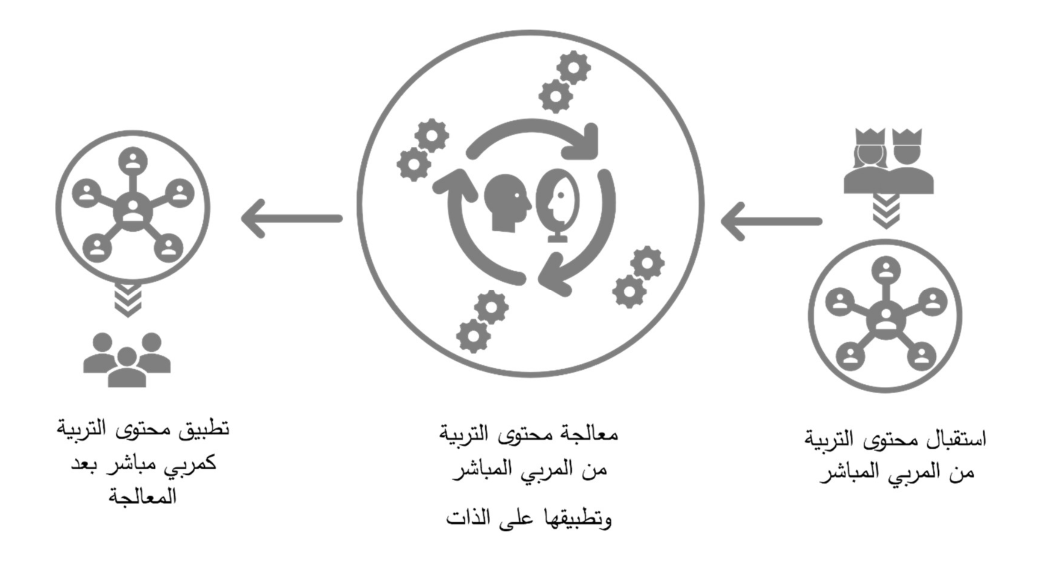
سلوكي، ومن المتعارف عليه أن التربية تتبلور بمرحلتين: مرحلة يستقبل فيها الفرد محتوى التربية من قبل والديه، أو المعلم– وهذه تربية مباشرة، أو مقصودة– ومرحلة يُطبقها الإنسان على الآخر، وعادة ما ينتقل لتطبيقها على الآخر عند بناء الأسرة، ووجود الأبناء، وبين هاتين المرحلتين مرحلة مفصلية مهمة يتم تخطيها تتمثل بمعالجة محتوى التربية الذي استقبله، ثم يمكنه عمل تطبيق مباشر لهذه التربية على الذات؛ ليقيس نجاحها بالدرجة الأولى، ويرفع من مستوى استقباله للتربية، ويمكنه تطبيقها على الآخر سواء على أبنائه، أو على الآخرين. (حسان، مجاهد، و عسكر، 2017)

لذا، فإن التربية مسؤولية لا تقتصر فقط على استقبالها، وتطبيقها عند بناء الأسرة، وإنما بمعالجة هذا المحتوى، وتغييره، وتعديله، ثم تطبيقه على الذات، وعلى الآخر؛ وهذا يُسهم في تطوير السلوك عبر الأجيال بحكمة؛ للوصول لطرق جديدة ومبتكرة في التربية.



ما يحدث عادةً في العملية التربوية، وتخطي التربية الذاتية، وتطبيقها على الآخر.

المصدر: الباحثة: رانيا الحرايزة، 2025



معالجة محتوى التربية وادخال التربية الذاتية ضمن العملية التربوية ككل.

المصدر: الباحثة: رانيا الحرايزة، 2025

يستقبل الإنسان التربية المباشرة، ويقوم بتربية غير مباشرة على الآخرين، ويقومون هم ايضًا بهذين النوعين عليه، وبالتالي يحدث تداخل في هذه العملية كما هو موّضح بالشكلين السابقين.

أساس التربية

يتمثل أساس التربية بعملتي التعليم (التوجيه) والتعلّم (تطبيق التوجيه)، وهما عمليتان متداخلتان في الزمان والطبيعة، وهذه العملية تحدث بشكلها المباشر، وغير المباشر، وذلك لأن التربية عملية موّسعة داخل بيئات مختلفة، وكل بيئة ذات طبيعة مختلفة، وتحوي عناصر، وأشخاص بثقافات، وخبرات، وفئات عمرية متنوعة، فقد تحدث عملية التربية ضمن التأثير، وقد تحدث ضمن درس ما بشكل غير مقصود. (خضر، 2018)

بناءً على ذلك، فإن هذه العملية بهيئتها الشاملة المتكاملة مع الذات والآخر، وليست محصورة بين (شخص بالغ، وطفل) أو بين (أب، وابن)، إنما بين شخصين يتبادلان خبرات الحياة بمختلف أشكالها مثل: الآراء، والأفكار، والتصرفات، والمشاعر، وطبيعة هذا التبادل، والتأثير الذي يُلحقه سلوكيًا بالإنسان، مع اختلاف درجات المسؤوليات، وتبدأ هذه الفكرة من أخذ موقعها المراد

عندما ينتبه الفرد أنه يحتاج لأن يكون واقع تحت عملية التربية من ذاته إلى ذاته، ثم حينها يمكنه العبور؛ لتطبيق التربية على الآخر. (خضر، 2018)

طبيعة التربية

إن التربية مفهوم مرن قابل للتعديل والتكيّف، ولا يحتمل نظام واحد، ولكن بسبب عمق هذه العملية؛ لبدئها منذ الصغر، وطبيعة اختلاف الشخصيات عبر مراحلها، وما قد تنتجه من أفكار ومشاعر وتصرفات قد تكون مشوهة، فإن هناك صعوبة في ممارسة هذه المرونة المتعلقة بها؛ فيتشكل تعتيم إدراكي تجاه سير التربية بشكلها السوي، فيتم قولبتها، وإعطائها هيئة جامدة غير قادرة على التكيف مع مواقف الحياة الصعبة، وتحولاتها؛ لصعوبة التغيير الجذري الواجب فعله؛ ولتقويم الأضرار الناتجة عنها، وهذا الوضع الذي يواجه فيه الإنسان صعوبة تجاه عملية التغيير نفسها يجعل التعامل معها صعبًا. (اسلام ويب، 2005)

كذلك هي عملية متطورة، ومتنامية، أي أنها ذات نمو مستمر، وتخسر هذه الخاصية عند غياب جزئية المرونة، فبمجرد أنها صارت صلبة، وثابتة، فإنها تستقر بأفكار مغلقة، غير قابلة للنمو أو التغيير، فمن طبيعة التربية التكيف، وأخذ شكل الموقف الذي يتعرض له المربي؛ ليقوم بإعادة صياغة المشكلة، وتحليلها، وتفسيرها، ودون المرونة سيتم التعامل مع المشاكل بنفس الكيفية؛ ما ينتج مشاكل كمثيرة، مثل: مشكلة الهروب من المشاكل نفسها. (اسلام ويب، 2005)

وتتفاعل المرونة مع التطور بشكل متداخل مع الوقت، فضلًا عن اعتمادهما بشكل أساسي طبيعة الشخصية فهي عملية متعددة الأطراف (الوالديْن، أو المعلم، أو الصديق، أو الأخ، أو من مصادر المعلومات مثل: الانترنت، والكتب، والمواقف، والظروف). (اسلام ويب، 2005)

فجوة التربية

يتمركز خلل التربية حول قلة الصبر، فالمربي المباشر بحاجة لعملية انتظار مستمرة لا يمكن توقعها، ينتظر فيها أن يرتكب المتعلم الخطأ، وأن يتحدث معه بدل المرة آلاف المرات، ثم يطبق أمامه، ثم يعطيه الفرصة؛ ليجرب، ثم يعطيه الفرصة؛ ليخطئ، ثم يتقبل أن يخطئ أكثر من مرة، ثم يسمعه، ويتحدث معه، ويتفهم خطأه؛ لأنه يتقمص قدراته، ثم ينتظره يصوّب بعضًا منها، ثم يصوب أكثر حتى ينجح أخيرًا، وهذا الموضوع يتطلب فهمًا، وإدراكًا، ووعيًا لحقيقة الصبر

نفسها، ووعيًا لصعوبة ماهية التربية، وفهمًا لحاجة المتعلم للفشل؛ للوصول للنجاح. (سويد، 2000)

بناءً على ذلك، يحدث أحيانًا فجوة تربوية بسبب قلة الصبر، وقلة الاطلاع من المربي المباشر لأن الفرد فاتته أجزاءً مهمة من عمليتي التعليم، والتعلم، ما يسبب سوء التوجيه، وقصور في تطبيقه لهذا التوجيه الذي يجهل المربي المباشر مداه البعيد، فينتج عن ذلك سوء معاملة، قد تكون متبادلة، رغم تضحيات المربي المباشر التي قد لا يراها المتعلم بسب توقعاته العالية، ورغم جهود المتعلم لنيل رضى المربي المباشر التي قد لا يراها أيضًا بسبب توقعاته حول توجيهاته، وتربيته المثالية – يعتقد أنها مثالية– التي ربما لم تعطِ المتعلم الفرصة ليطبقها بشكل جيد، فيغيب الرضا لمجهود الطرفين بسبب فجوة اتضح أنها ليست فجوة عمرية وحسب، برغم من كل أساليب التربية.

وإذا لم يتم الفهم العميق لهذه التفاصيل ستعاني الوسائل، والأساليب التربوية من مشاكل بعيدة المدى، ولسوءِ إدراك العملية التربوية، يُعتقد أنها مناسبة لبناء الأجيال، ويتم نقلها كما هي، فتحدث الفجوة المتمثلة بالعتاب، واللوم، والصمت دون أي تغيير، ما يشكّل الغضب، والإحباط، فيصير المتعلم غير قادر على الحكم على الأمور بطريقة سليمة، فالحل المقترح يكون بملء هذه الفجوة بالتسامح سواء أكان هذا التسامح جزئيًا، أم كليًا، أو مجرد فكرة دون تطبيق، ولكن بداية التفكير بالأمر تمنح الفرد شعورَ التقبّل؛ ليرى الأمور بصورة سليمة، والتعاطف مع قدرة المربي على العطاء، وقدرة انتقاء المتعلم ما يناسبه من محتوى التربية بذكاء، وبأسلوب متوازن. (سويد، 2000)

لذا يحتاج الفرد في البداية إلى تغيير أفكاره حتى يستطيع بناء بيئة داخلية نفسية سليمة؛ ليتقبل تطبيق التسامح؛ لأنه لا يستطيع أن يسامح أحدًا وداخله مبعثر؛ ولكي يتمكن من التسامح ينبغي له أن يجد تفسيرًا لكل التصرفات التي تلقاها من المربي المباشر، وفهم طريقة توارثه لنفس الأسلوب، واحتواء تصرفاته كلها، أو جزءٍ بسيط منها، وقد يكون مخطئًا ، فلا بأس، هناك من أخطئ بحقه أيضًا، إلى أن يتم الوصول إلى أن خيار المربي المباشر كان صوابًا؛ لأنه لم يملك خيارات أخرى، أو ببساطة هذه قدرته، عندئذ يعترف المتعلم بخطئه، ويتحرك كل من المربي المباشر، والمتعلم تجاه بعضهما ليلتقيا عند نقطة تفاهم وسطية. (اسلام ويب، 2005)

ويُلاحظ أن ذلك مسؤولية مشتركة لمن يريد حملها، ولا بأس بأن تحرك المتعلم وحده تجاه التغيير، فهو لديه فرصة كبرى لذلك، يستطيع الشعور بالرضا، ويستطيع أن يتقبل المربي المباشر فتخف حدة سوء السلوك، وسوء الصورة الذهنية التي يشعر بها تجاه المربي المباشر. (سويد، 2000)

ويحتاج المتعلم إلى التسامح؛ كي يتعرف إلى ما خَلُص له من كل البيئات التي مرّ بها، فكل شخص، أو موقف جعله يغتنم من عملية التربية شيئًا، ويحتاج إلى تقبل الدرس، وإعادة صياغته، وأخذ المفيد، فهذا المزيج من الأحداث، والأشخاص، هو عمليتيّ تعلم، وتعليم مستمرة، ويعني التسامح الصفح عن الآخر، وتقبله، إلاّ أن هدفه الرئيس هو صفح الذات عن الذات، وتسامح الذات مع الذات. (حسان و مجاهد وعسكر، 2017).

ارتواء تربوي

بعد معالجة الفجوة التربوية بالتسامح، يُلاحظ أن هذه هي البداية لما يحتاجه الإنسان من تغيير، فهناك أبعاد تمتد لما هو عاطفيًا، تكون الحاجة فيها لتطوير السلوك، وتعديله من أجل تقويم ما حصل من أخطاء حدثت بعملية التربية المباشرة السابقة، فيتم الانتقال لمرحلة التفكير فيها بطريقة سليمة توازن بين العاطفة، والمنطق، وتوجه الإنسان إلى إدارة سلوكاته، فيدوّن ما يمر به من تشوه الأفكار، والمبادىء، والقيم، والأخلاق، مع تدوين الحلول رويدًا رويدًا؛ ليحاول في ذلك أن يربي نفسه، ويهذبها؛ إذ مهما مرّ الإنسان بمربيين سيبقى هو المربي الوحيد الذي يستطيع أن يقوم بهذه العملية على أكمل وجه تجاه ذاته.

عندئذ يصل إلى ما يحتاج إليه من النقص، أو يقوّم الزيادة في هذه العملية، وحينها يشعر بالارتواء التربوي الذي هو عملية تربوية ناضجة يقوم بها الإنسان مع الذات؛ بمعالجة النقص، وتعويض ما يحتاجه من مفاهيم فكرية، وشعورية، وسلوكية؛ ليصبح قادرًا على استحداث أساليب تناسب تطبيق العملية التربوية بأنواعها على الآخر، وبذلك يكون قد تعلّم كيف يربي ذاته، ويربي الآخرين معه، بطريقة مرنة تخدم المجتمع، والأسرة على حد سواء.

بناءً على ما تقدم، تكمن الحاجة لإعادة تعريف المفاهيم في الارتواء التربوي على النحو الآتي: (سويد، 2000)

التربية: أن يوجه الإنسان ذاته، ويحركها بطريقة سليمة؛ لبناء شخصية متزنة ناضجة قادرة على حل المشكلات التي نتجت عن عملية تربوية سابقة غير ناضجة، للوصول بهذه الشخصية للإبداع، وتغطية ما احتاجته النفس من التوجيه، ما يجعله يؤثر ايجابًا بتطبيق هذا التوجيه على الآخرين.

صفات المُربي: أهم صفة أن يكون قد قام بعملية التربية تجاه نفسه، وطبقّها على ذاته، ولاحظ فيها تغييرًا في السلوك ، كما لاحظ نجاحًا بعمليتي التعلم، والتعليم عن طريق امتلاك مهارات التقمص أي : وضع ذاته مكان الشخص الآخر.

طبيعة التربية: على المربي لذاته أو للأخرين، أن يكون واعيًا، ومدركًا لصعوبة التربية، ومدى عمقها في النفس، والجسد، والروح، وأنه مربي لكل من يقابلهم، وهم كذلك بالنسبة له بطريقة مباشرة، وغير مباشرة، وبشكل متداخل، يتأثر بهم ويتأثرون به، وينتج عن هذا التأثير عمليتيّ تعلم، وتعليم متبادلة، وتوجيه غير مباشر أو مباشر، وعملية تربوية غير مباشرة أو مباشرة.

كيفية التربية: هي أن يكون الإنسان قادرًا على تشكيل طرق تربوية، وخلق أفكار مناسبة؛ لزيادة جودة التعامل مع الفرد فضلًا عن الاطلاع على أساليب التربية مثل: التربية النبوية، التي يكون فيها التأديب مثلًا من أجل التأديب، لا الغضب، ولا الانتقام، ولا التفريغ بالإنسان/الطفل.

يُمكن القول، قد تكون هذه التعريفات مختلفة من إنسان لآخر وفق إعادة صياغته لأهدافه، وقيمه، فهو بعد معالجة الفجوة، ينتقل لإعادة صياغة تفكيره، حتى ينتقل للخطوات العملية التي تسهم في رفع جودة استقباله لمحتوى التربية، بحيث يعدلها، ويعالجها وفق ما تقتضيه حاجته لبلوغ أهدافه، ويمكن أن يطبقها على ذاته وعلى الآخر، وما كان يُعاتب به يستطيع هو بلوغه بطريقة تناسبه، وهذا يحقق الارتواء التربوي لديه.

كيفية تحقيق الأُنس التربوي

كي يتم تحقيق الأنس التربوي، لا بد من معالجة المفاهيم؛ لتهدأ النفس من صخب الغضب، والعتاب؛ ولتصير الأفكار، والمشاعر، والتصرفات سليمة، لا بد أن الذكريات التي يتم صنعها هي أُنس يضمد الجروح، ويُؤسس نفسية صلبة مُشبعة، قادرة على حل المشكلات، ويتحقق هذا الأُنس من مربٍ أدرك أهمية الذكريات، ودفئها، فيتنبأ بالصورة الذهنية لها، والتي ستتشكل مستقبلًا عند الإنسان بدراسة المربي لسلوكه أمام الإنسان الذي يتسم بالتواضع، والمعرفة، والأُلفة، أي يقوم بالتنبؤ بتشكيل هذه الذكريات داخل الذهن. (إسلام ويب، 2005)

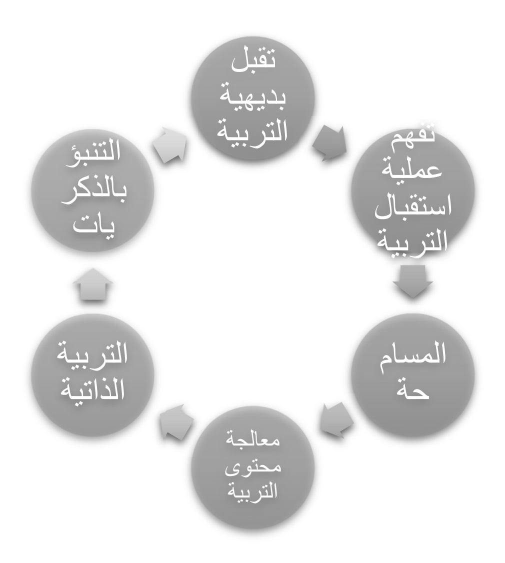
وعلى الإنسان أن يدرك أنه مربي، فهو يربي طالبه، أو صديقه، أو أخاه، أو زميله، أو شريك حياته، أو حتى مربيه المباشر نفسه، لذلك ينبغي له أن يتفهم طبيعة المربي نفسه، وإدراك توقعات الفرد تجاه العملية التربوية، وإعطاءه الصورة الواقعية بالتخلي عن الصورة المثالية، والاعتراف بالأخطاء، والاعتراف بالتعلم من الآخر، فتنعم ذكريات الإنسان ليس فقط بالفائدة، إنما أيضا بعملية تربوية مريحة متعاطفة، وموجهّة في نقل المعرفة، والتعليم، ويُقال هذا الإنسان فيه أُنس أي أن الآخر سكن إليه، وذهبت وحشته أي: ألِفه، وارتاح، واطمأن إليه. (المعاني، 2025)

ويُمكن استنتاج أنه من المهم أن يتم التعامل مع الذات بطريقة ناضجة ، ويحدث الأُنس عند البدء بحل أحجية الشعور، حينها تتضج الأساليب المستخدمة لفهم الأمور؛ لصنع ذكريات جديدة عن طريق عملية تربوية ذاتية تمنح الفرد وعيًا شاملًا، والتسامح مع الذكريات السابقة، وتفهمها، فهي فكرة ذات نضج كبير تجاه الذات في تحمل المسؤولية.

ويُمكن الإشارة إلى أن الأنس التربوي يتشكل بالآتي: (المعاني ،2025).

- تفهم عملية التربية المباشرة أو غير المباشرة، والتعاطف مع أفرادها.
- ملئ فجوة التربية بالتسامح.
- تحقيق الارتواء التربوي؛ لإصلاح محتوى العملية التربوية عن طريق التربية الذاتية.
- تحقيق الأنس التربوي بجمع الفائدة مع الأُلفة، والتنبؤ بالذكريات.

كذلك يتم تحقيق الأُنس التربوي عن طريق التفهم، والإدراك لعملية التربية، ويُعد إصلاح عيوب التربية السابقة مسؤولية الإنسان نفسه في تفهم الحاجة؛ لتطبيق التربية المباشرة على الذات، فالأنس التربوي ليس نتيجة معينة، بقدر ما هو السعي للوصول، وهذا السعي بحد ذاته هو الذي يحتاجه الإنسان. (إسلام ويب، 2005)



خطوات الأنس التربوي

المصدر: الباحثة: رانيا الحرايزة، 2025

الخاتمة

عادة ما يتسم الحل الجذري بالشمولية، والمثالية، وهذه المثالية تكسبه نوعًا من الصعوبة في التطبيق العملي، لذلك فإن المثالية في التربية وعناصرها؛ لأجل أن تكون ضمن توقعات مقدور عليها، فإذا أُتيحت مساحة للتفكير، والتقبّل، ستصبح مساحة الاقتناع تلقائية، ويحصل تغيير في الفكر.

والحل الجذري ما هو إلاّ تغيير في الفكر، لتصير التصرفات، والمشاعر تلقائية؛ بتلقائية هذا الاقتناع، وتناسب أفكاره، وأن السعي نحو المثالية دون تزمت، وتمسك، يُكسب الفرد نوعًا من المثالية أيضًا.

وهذا يُؤدي إلى اختيار درجة التغيير التي تناسب القدرات، والإمكانات، والظروف، عندئذ يُمكن القول أن الأنس التربوي قابل للتطبيق، إذا توافر الفهم، والإدراك، والاستيعاب، والصبر، فضلًا عن الوعي بمستوى التوقعات، والرغبة في التغيير.

ويُمثل الأُنس التربويّ الوعاء الذي يحتوي العملية التربوية، والتنبؤ بالذكريات التي قد يتيحها المربي للإنسان الذي يتلقى منه هذه العلمية، فيتشكل هدف نبيل تجاه عمليتيّ التعلم، والتعليم، ويمنحمها توجهًا مختلفًا، يبدأ من الذات، ثم باتجاه الآخرين، كنوع من التجربة في قياس مدى نجاح محتوى التربية الذي ينوي المربي تطبيقه على الآخر، فالمحتوى المرن يُحقق الأنس التربوي بجدارة.

قائمة المراجع

إسلام ويب. (2005). *التوجيه غير المباشر وأثره في التربية والسلوك*. تم الاسترداد الموقع الإلكتروني:https://www.islamweb.net/ar/article/109341/%

حسان، محمد حسن و مجاهد، محمد ابراهيم وعسكر، حسين حسن (2017). التربية الذاتية وعلاقتها بالتميز المهني: دراسة تحليلية لحياة بعض المتميزين مهنيًا". *مجلة تطوير الأداء الجامعي* .

خضر، مجد (2018). *مفهوم التربية*. تم الاسترداد عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com

سويد، محمد نور (2000). *التربية النبوية للطفل* .المجلد 3. مكة المكرمة: دار طيبة للنشر والتوزيع

المعاني. (2025). *تعريف و معنى الإنس في معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي*. تم الاسترداد عن الموقع: : https://www.almaany.com/